تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

محنة الأخلاق فى الجامعة

هذه الكلمات التى أنقلها هنا ، كما وردت بنصها فى رسالة من أحد « تلاميذ » الدكتور عبد الرحمن بدوى ، أود أن أقدمها مرة أخرى إلى معالى وزير المعارف ، وإلى مدير جامعة ابراهيم ، وإلى عميد كلية الآداب بتلك الجامعة .. أود أن أقدمها إلى هؤلاء الذين بيدهم الأمر ، ولهم سلطة الإشراف ، وعليهم فى النهاية تقع المسئولية !

قال التلميذ « الفاضل » وهو من ناشئة الجيل الذى أشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » : (قرأت تعقيبكم على فقرات من كتاب « الحور والنور » للدكتور عبد الرحمن بدوى ، فرأيت أن أرد على ما جاء به من اتهام مجحف بما يأتى :

(١) إن العلاقة الجنسية عملية « بيولوجية » لاستمرار الحياة .. فالتحدث عنها وعما يستلزمها من استمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه ما يخجل !!

(٢) ماهى قيم الناس المقدسة ؟ إن هى إلا أضحوكة صاغها العرف ودعمها من يسميهم النـاس أنبياء . . فله الحق « يقصد الدكتور بدوى » فى رفضها أو قبولها !!

(٣) إن عبد الرحمن بدوى لاينال بمثل هذه الكلمات من سمعة الجامعة العلمية أو الخلقية .. بل إن الجامعة لتفخر به » !!

إلى هنا وتنتهى رسالة التلميذ « الفاضل » ، وهو كما قلت من ناشئة الجيل الذى يشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » .. إن هذه الرسالة هى الدليل المـادى الذى لا يدفع ، على أن هـذا الأستاذ قد استطاع أن يطبع تلاميذه بطابعه ، وأن يخلق منهم « رجالا » يواجهون معركة الحيـاة الطويلة بسلاح الخلق .. الخلق الذى يطالعك معدنه « النفيس » من وراء تلك الكلمات !

هذا هو ما كنت أنتظره وأخشاه ، وهـذا هو ما دفعنى إلى إثارة المشكلة من قبل أمام المسئولين ، مشكلة التدهور الخلقى الذى يخشى منه على طلاب الجامعة . هذه التيارات الفكرية التى تعصف بالقيم وتحتقر المثل وتهزأ بالتقاليد ، من الذى نثر بذورها الآثمة ورعى ثمارها المجرمة فى رؤوس أصحاب الغد ، رؤوس هذا الجيل المرتقب من شباب الجامعة ؟ ترى هل يحتاج السؤال إلى جواب ؟ وإذا كان محتاجا فمن يجيب ؟ هل أجيب أنا أم يجيب مدير جامعة ابراهيم ، أم يجيب عميد كلية الآداب بتلك الجامعة ؟!

إن مثل هذا الطالب الذى يدافع عن العلاقة الجنسية بأنها عملية بيولوجية ، ويؤكد أن الاستمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه ما يخجل ، وأن القيم المقدسة إن هى إلا أضحوكة من صنع العرف أو من صنع من « يسميهم » الناس أنبياء . . مثل هذا الطالب ـ وهو نموذج مادى صارخ لغيره من الطلاب ـ لا ذنب له فى رأى الحق ولا لوم عليه ؛ لأن هنـاك « الأستاذ » الذى أقنعه بأن هذه هى القيم ، وبأن هذه هى المثل ، وبأن هذا هو الطريق .. هنـــاك الأستاذ الذى أقنعه بهذا كله فى قاعات الدرس وهو يحـاضر ، وبين صفحات الكتب وهو يؤلف ، ولا بأس فى منطق « الدين الجديد » من أن تفخر الجـامعة بداعى الدعاة !!

أرأيت كيف يفخر التلميذ « الفـاضل » بكلمات أستاذه « الفاضل » ؟! لقد علمه فأحسن التعليم ، وأدبه فأحسن التأديب ، ووجهه فأحسن التوجيه ، وبلغ من ذلك كله الأوج وأشرف على الغاية .. إن هذا الطالب وأمثاله شهداء ؛ وإذا كان الشىء يذكرنا بنقيضه ، فإننى لأذكر فى هذا المجال شهداء آخرين ، وما أبعد الفارق فى حساب الشعور بين شهداء « الوطنية المحمومة » وشهداء « الأفكار المسمومة » .. إن « أبناء القتـال » مثلا يفخرون بحديث الجهـاد والبذل ، وبمعنى الفداء والتضحية ، ثم بشرف الانتحار بين يدى العدو اللدود ؛ أما « أبناء الجامعة » فيفخرون بحديث الأعطاف والأرداف ، وبمعنى المساواة بين الخالق والمخلوق ، ثم بشرف الانتحار بين النهود .. أليست هذه الألفاظ هى ألفاظ « أستاذ الجيل » كما ازدان بها كتاب « الحور والنور » ؟!

حديث وحديث ، ومعنى ومعنى، وشرف وشرف ، وهى فى جوهرها دروس ودروس .. دروس فى « الاستقلال » يتلقاها فريق من شباب مصر ، ودروس فى « الانحلال » يتلقاها فريق آخر من هؤلاء الشباب ، وابحث عن الدوافع النفسية لهذه الظواهر الخلقية ، ابحث عنها فى تعاليم « القادة » الموجهين هنا وهناك !!

لقد بقى شىء كنت أود أن أذكره ، وهو اسم هذا الطالب الجامعى لعله يخجل .. كنت والله أود أن أفعل ولكنى تذكرت تذكرت أن أستاذه « الفاضل » قد علمه وعلم أمثاله أن الهبوط والسقوط ، ليس فيهما ما يبعث على الخجل أو مايدعو إلى الحياء!!

ذكرى شاعرة سورية

هل تذكرون تلك الفتاة الأنيقة الرشيقة .. « الآنسة » هجران شوق ؟ وهل تذكرون ذلك اليوم الذى رفعت فيه القناع عن الوجه المزيف والحديث الكاذب والشعور المصنوع ؟ ! لقد استطاع ذلك الشاعر السورى « المعروف » أن يلقانى بوجه امرأة ، وأن يتحدث إلى بصوت امرأة ، ولكنه نسى شيئا واحدا لم يفطن اليه .. وهو أن يتزود بدهاء النساء ، نسى مع الأسف الشديد هذا السلاح الخالد من أسلحة حواء.. ومن هنا انكشف أمره وانتهت المعركة !

أقسم أننى كنت أعرفه ، أعنى « الأستاذ » هجران..وأننى ذكرت اسمه لكثير من أهل الأدب حين سئلت عنه ، بعد تلك الكلمة التى وجهتها اليه على صفحات « الرسالة » ورجوته فيها أن يفصح عن اسمه وإلا أفصحت عنه ! .. رجوته فغيب الرجاء ولج فى الهجر ، وأمعن فى الدلال ، شأن ربات الحجال ! ومن هنا خاننى الصبر فبحت باسم الأستاذ الشاعر فى مجالس الأدب فصدق أناس وتردد فى التصديق آخرون .. ترددوا على الرغم من الأدلة المادية القنعة التى تقوم على المقارنة بين شعره وشعر « الآنسة »، وبين النماذج الخطية لكتابتها وكتابته وهى موجودة بدار « الرسالة » ؛ فضلا عن السبب الاصيل الذى من أجله بدل من قسمات الوجه وغير من نبرات الصوت .. وهو دفاعه الصادق الخالص عن شاعر بعينه فى مسابقة شعرية أقامتها مجلة « العصبة » المهجرية ! !

تلك الفئة المترددة فى التصديق كانت قليلة على كل حال ، وعذرها فى ذلك مقبول حين نضع نصب أعيننا هذه الحقيقة، وهى أن الشاعر الذى وضع على وجهه نقاب امرأة شاعر معروف تعرفه صفحات « الرسالة » منذ خمسة عشر عاما على وجه التقريب وتبعا لهذا « الشرف » يعرفه القراء فى مصر والبلاد العربية .. ومن هنا عز على بعض العقول أن تصدق تلك « الفعلة » التى لايقدم عليها غير الأدباء الناشئين أو غير الصبية المراهقين !!

وأترك تلك الفئة المترددة وأخاطب القراء ، مقدما إلى أذواقهم هذه الابيات التى اقتطفها من قصيدة ألقاها الشاعر الذى أعنيه ، فى حفلة تكريم أقيمت للشاعر المهجرى جورج صيدح بدمشق ، ونشرتها مجلة « الأديب » اللبنانية فى عدد ديسمبر عام ١٩٥١ .. قال الأستاذ الشاعر وهو يتحدث عن نكبة فلسطين بصوت « لرجال » محييا الشاعر المهجرى الذى نذرلها ديوانه « النوافل » هبة شعر وشعور ، قال حفظ له الله وجهه الحقيق بغير نقاب :

عليك سلام العرب يندى مواجما ... ويشرب دمع العين غربا إلى غرب
ولم ترحت لاتلوين إلا على النوى ... أمن أمل رحب إلى أمل نهب ؟
ديار الهوى لازلت مخضرة الملى ... ترف على مغناك فينانة العشب !
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وفى منك مايغرى الحب وما يصبى
وما غبت عن طرفى وإن بعد المدى ... ولكننا فى الحب جنبا إلى جنب
وما ذكرتك النفس إلا تولهت ... وهيمها روح فباتت بلالب !

يهيج جواها الشوق والشوق عاصف
كأن على أنفاسه زفرة النحب !
دهتك من الدنيا كوارث جمة
وألقت بك الويلات فى مسلك صعب
فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا
وتزدهر الأعواد فى الهمه الجدب !
إذا دهمته الداهمات تلجلجت ... به النفس وانهارت تقول له حسبى
وطوف وباع الخلد تطواف عاشق
حسير الأمانى وابك بالدمع السكب
إليك أؤدى بعض ما تستحقه ... رفيفا من التحنان والنغم العذب
وأنت جدير بالقرارى فليعنى
أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب !

هـذه هي الأبيات ، ومعذرة لضياع الوحدة النفسية فيها وكذلك الوحدة الفنية ، لأن هنـاك بيتا مقتطفا من هنا وبيتا مقتطفا من هناك، تبعا لحرصي على جمع « الإكليشيهات اللفظية » التي سأترك لك المقارنة بينها وبين « إكليشيهات أخرى » مماثلة ، هناك في قصيدة قديمة وجهتها « الآنسة » هجران شوق إلى الشاعر عزيز أباظة ، في العـدد (٩٠١) من الرسـالة .. وهو العدد الصادر في ٩ أكتوبر عام ١٩٥٠ ! قالت « الآنسـة » الشاعرة التي نسيت أنني أقرأ مجلـة « الأديب » وما زلت أذكر شعرها الحبيب :

وأنت سمـــاوي القصيد قبسته
من اللاهج المشبوب والمـدمع السكب

ولمـا نزل سؤل النفوس وقصدها
وشغل الليالي الزهر والأنجم الشهب

فيـالك من شعر رقيق منغم — يرف رفيف الطل في ناضر العشب
ترقرق بالشكوى وضمخ بالأسى — فجاد بما يفرى وجاش بما يصبي
وأشربته نجوى تذوب رهافة — وتخضل بالتذكار والأمل النهب
تخلده الأحقاب في الطيرشاديا — فإما شدا بات الحب بلا لب

وفي النائب النائي الذي لفه الردى
ففاض حنانا وهو في زفرة النحب

غريب حريب لا يقر قراره — إلى أن نوى في الخلد جنبا إلى جنب
فما الشعر إلا ابن المدامع والأسى — تجود به الأجفان قربا إلى قرب
إذا خاطب الأرواح رفت بشاشة — ولو أنها في وحشة المهمه الجدب
يظل حداء الركب ترمى به النوى — فينسيه ما يلقاه من مسلك صعب
نشاوى وما ملوا غناء ولا سرى — ولا تعبوا أو قال قائلهم حسبي !
فيالك صداحا ويالك شاعرا — تفرد بالتحنان والنغم العذب

أرأيت إلى هذه « الإكليشيهات اللفظية » المكررة في هذه القصيدة وفي القصيـدة السابقة ؟! .. إنها « إكليشيهات » تطالعك كثيرا في شعر هـــذا الشاعر ، وهي من « لوازم » التعبير التي تكشف لك عن شخصيـة الأديب أو الشاعر ولو حجبت تلك الشخصية وراء الأستار ! .. « المدمع السكب » ، والدمع الذي تجود به الأجفان « قربا إلى قرب » ، و « الأنجـم الشهب » ، و « المسلك الصعب » ، و « والمهمه الجدب » ، و « زفرة النحب » ، و « بات بلا لب » ، و « الأمل النهب » ، وفي الحب أو في الخلد « جنبا إلى جنب » ، وتلك أو التي « يقول له حسبي » ، وذلك « التحنان والنغم العذب ».. إلى آخر تلك « الإكليشيهـات » المحفوظة على طريقة تلاميذ المدارس ، والتي يمكنك أن تجـد الـكثير منها بلحمه ودمه في قصيدة أخرى نشرت « للآنسة » هجران على صفحات الرسالة ، وهي القصيدة التي رثت بها « أختها » الشاعرة المصرية الراحلة ، الآنسة ناهد طه رحمها الله !!

عيب الأستاذ الشـاعر أنه ضعيف الذاكرة ، ولو لم يكن ضعيف الذاكرة لما نسي أن وظيفتي الفنية هي النقد، وأن النقد من عادته أن يرفع الستر من الأشياء الدفينة .. لقد سطا الأستاذ في جرأة بالغة على شعر الآنسة هجران ، ولم يتحرج من أن يحيي الشاعر جورج صيدح بهذا الشعر المسروق !

ليصدقني القراء أنني لم أكن أنتظر أن يسطو هـذا الشاعر المعروف على شعر هذه الشاعرة الناشئة .. قد يدافع هو عن نفسه فيقول لنا بصوته الطبيعي الذي لا تشوبه رقة الغانيات : هـذا اتهام جائر لأن الشعر شعري هنا وهناك ، سواء نظمته من وراء الأستار أم نظمته في وضح النهار .. عندئذ لا يسعنا إلا أن نعتذر للأستاذ أنور شوقي أو للآنسـة هجران العطار ! !

حول أسئلة القراء :

يؤسفني جد الأسف أن تشغلني محنة الأخلاق في الجامعة وذكرى الشاعرة السورية ، عن التفرغ للأسئلة التي تلقيتها من بعض القراء وأشرت إليها في العدد الأسبق من « الرسالة » .. ولقد تلقيت فيضا آخر من الرسائل في الأيام الأخـيرة ، وأرجو ألا تشغلني عن التعقيب محن أخرى وذكريات !

بقي أن أوجه أنظار القراء إلى هذه الحقيقة ، وهي أن وقتي لا يتسع لـكتابة الرسائل الخاصة حول المشكلات الخـاصة ؛ المشكلات النفسية التي تغلي بها نفوس الشباب في هـذا الجيل. إنني أقدر هـذه المشكلات كل التقدير وأعطف على أصحابها كل العطف ، ولـكني أعتذر لهم بضيق الوقت وبشيء آخر ، وهو أن كثيرا من المشكلات لا يمكن علاجه بكلمة أو كلمات !

أنور المعداوي